http://ar.alnahj.net/audio/1716

الشيخ علي السالم: بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران : 102]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء : 1]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب : 71]

أما بعد:

فإن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وبعد، في هذه الليلة ليلة الاثنين الموافق ليلة الواحد والعشرين من شهر ربيع الأول لسنة ست وثلاثين وأربعماءة وألف من الهجرة نلتقي مع إخواننا من أهل السُّنة نتناصح فيما بيننا عاملين بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث قال : ((الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)) رواه الإمام مسلم، ومن باب التناصح أن نذكر بعضنا البعض بعظيم الحاجة إلى الفقه في الدين والعلم النافع ونلهج بهذا كما لهج به سلفنا الصالح وأئمة الهدى إلى عصرنا يوصون الشاهد ليبلغ الغائب على أن الدعوة المحمدية لها ارتباط وثيق بالعلم النبوي ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه وأرضاه- : ((إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)) ولهذا فإن فضل العلم لا ينكره

صاحب صدق في تدينه، فإن العلم شامل لما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- كله، وهذا العلم سبيل للتزكية وسبيل لتطهير النفس من الأمراض الشيطانية الشهواتية والشبهاتية على تفصيل ذكره أهل العلم، فالهدى الذي جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- يقصد به السلامة والنجاة وتزكية الإيمان، وقد جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسُّنة تحث على العلم تحث على معرفة الله -عز وجل- كما جاء في حديث ابن عباس حينما بعث معاذًا إلى اليمن قال: ((إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه معرفة الله)) فهذه المعرفة المقصود فيها العلم الذي يتوصل به إلى مراد الله -عز وجل- وتقواه وطاعته، ونصوص القرآن في هذا الباب كثيرة كقوله -تعالى- :{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} [الزمر:9]، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم- : ((من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين))، فمن الشناعة والظلم أن يوصف أهل السُّنة ألا إنشغال لهم بالعلم ولا ارتباط لهم فيه ولا همَّ لهم إلا فضول الكلام، وهذا ظلم لهم، فهم حقيقة ورثة الأنبياء، قال الله -عز وجل- : {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ} [آل عمران:18]، قال أهل العلم: فقرن شهادته -تبارك وتعالى- بشهادة أشرف خلقه من الملائكة ومن العلماء، فالملائكة هم أشرف المخلوقات في العالم الغيبي، وأهل العلم هم أشرف المخلوقات في العالم الشاهد، فماذا بقي؟ ماذا بقي؟ ولهذا النصوص كما ذكرنا كثيرة في الحث على العلم والتعلم ونحو ذلكم، فلا يرمي أهل السنة، فلا يرمي أهل السنة إلا حاقد حاسد، أو مِن مَن أبتلي بمرض الظهور الذي يقصم الظهور، ويريد التحجير على الواسع، يريد التحجير على الهدى الذي بعث به النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلا يصدر إلا عن طريق يرضاه هو بنفسه وإلا فلا، ولا أريد الاسترسال بهذا حتى لا أفسد علينا جميعًا الانتفاع بضيفنا الكريم الشيخ خالد بن عبدالرحمن حفظه الله -تعالى- حيث يتكلم عن أصل موضوع هذه المحاضرة، وهو العنوان "الناس ثلاثة"، أقرأ عليكم بداية هذا الأثر الذي رواه كميل ابن زياد عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال له: "يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة: فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع اتباع كل ناعقلم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق"، فهذا تقسيم من علي

ابن أبي طالب -رضي الله عنه- لأصناف الناس وأنهم ثلاثة، وقد جاء أيضًا نحوه في الحديث النبوي ((الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم)) وجاء في قول عبدالله ابن مسعود -رضوان الله عليه- "أن الناس ثلاثة أو قال أغدوا عالما أو متعلمًا ولا تغدوا إمعة فيما بين ذلك"، وهذا تقسيم أثري سلفي نصي على الناس، فلا يستحدث تقسيم يخالف هذا الذي صدر عن سلفنا الصالح، فهم القدوة ونحن الذي نربي أنفسنا على اتباعهم، ونربي أنفسنا على هذا المنهج الواضح الجلي، الذي نتمسك به ما بقينا في هذه الدنيا، أن نكون على ما كان عليه الصحابة -رضوان الله عليهم-، والذي تكلموا به ودلنا عليه الحديث أن الناس ثلاثة فمن هو العالم الرباني؟ ومن هو المتعلم على سبيل نجاة؟ ومن هو هذا الذي همج رعاع؟ لايجوز أن يكون فيمن يلحق بركب السُّنة وأهلها من هذا الصنف الأخير، فأريد من الشيخ خالد -حفظه الله تعالى- أن يشرح بعض الشيء على ما يفتح الله -عز وجل- عليه في بيان هذه الكلمة التي قالها علي بن أبي طالب -رضي الله عنه وأرضاه-، فليتفضل مشكورًا.

الشيخ خالد عبد الرحمن: جزاك الله خيراً ونفع الله بك، الحمد لله رب العالمين و-صلى الله وسلم- على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فجزى الله أخانا وحبيبنا في الله الشيخ المحب علي السالم أبا عبد الرحمن خير الجزاء ووفقه وسدده ونفع الله به، أما ما يتعلق بهذا الأثر وكذلك ما ذكره -حفظه الله- عن ابن مسعود وما جاء مرفوعًا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ((الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم)) والذي حسنه الألباني وأخرجه الترمذي وغيره، فكل ذلك سبيله في البيان والإيضاح باب واحد، وقد ذكر الإمام ابن القيم حين تكلم عن هذا الأثر المروي عن علي -رضي الله عنه-، قال ابن القيم رحمه الله قال: "وهذا التقسيم هو الواقع" يقول ابن القيم: "وهذا التقسيم هو الواقع"، أي أن تقسيم الناس إلى

هذه الثلاث أقسام ليس أمراً يحتاج إلى تكلف وإلى تفقه وإلى استنباط وإلى اجتهاد، يقول ابن القيم: "هذا التقسيم هو الواقع" أي أنه أمر مُسلَّم، المجادل فيه مخالف للواقع، فواقع الناس هو هذا، إما أن يكون عالمًا وإما أن يكون متعلمًا، وإما أن يكون من الهمج الرعاع الذين لا يرجعون ولا يسألون عن أمر دينهم، لذلك فإن هذا التقسيم ينبغي على أهل السُّنة أن يفهموه وأن يضبطوه؛ لأنه ينبني عليه فوائد واعتقادات في ديانة العبد مع ربه -عز وجل-، فالعالم الذي هو أشرف وأعلى وأنقى هذه الأقسام الثلاث، العالم الذي يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- فيه كما جاء عند الترمذي في الحديث الذي ذكره الشيخ في كلامه((الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالمًا أو متعلمًا))، فالعالم هو العالم بأحكام الله -عز وجل- العامل بها، هذا هو العالم، الذي يعلم أحكام الله —عز وجل-، يدرك أحكام الله بأدلتها الشرعية وأن يكون عاملًا، ولذلك بيَّن الله من هو العالم حين قال: {وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ} [آل عمران:79]، فبيّن أن العالم هو الذي قد جعل الله عنده آياته ودلائل أحكامه كما قال —تعالى- مبينًا ذلك أيضًا {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [العنكبوت:49]، وكذلك بيَّن ربنا أن العالم هو العامل بعلمه {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر:9]، فالعالم على وجه الإجمال هو العالم بأحكام الله المتبع للآثار العامل بعلمه، وهذا العالم لا بد أن تفهم يا صاحب السُّنة، أن العالم يتفاوت وقوع مسماه عليه، فهناك عالم في أول طبقة وقوع الاسم، وهناك عالمٌ متوسطٌ وهناك عالمٌ راسخ، فالعلماء ليسوا على مرتبة واحدة، فلابد أن تفهم من هو العالم الذي يُستقى منه العلم، ولابد أن تفهم أن العلماء على درجات، فهناك علماء لا يدخلون في الراسخين من أهل العلم، فليس كما يقول الإمام ابن عثيمين -رحمه الله-: "ليس كل عالم راسخ في العلم، بل الراسخ في العلم في العلماء هم القلة، كالعالم بالنسبة لطلاب العلم" فكلما رسخ العالم كلما قل، ولذلك كان الصحابة -رضي الله عنهم- ينتبهون لهذا التفاضل في العلم، لما مات رسول الله -صلى الله عليه وسلم-كما روى الإمام البخاري في صحيحه، قام عمر يخطب الناس

يقول: "من زعم أن محمدًا مات، ضربت عنقه فإن الله لا يميت نبيه حتى يُفنيَ المنافقين" وقام يتكلم ويخطب، فقام أبو بكر -رضي الله عنه- فقال: "اسكت يا عمر"، قال: "فلم يسكت" فاستمر في كلامه، فأعاد أبو بكر فقال: "اسكت يا عمر" للمرة الثانية فلم يسكت، فلما استمر في الكلام ولم يسكت لأمر أبي بكر وهو فيه ما فيه من الحزن على النبي -صلى الله عليه وسلم- قالوا: فقام أبو بكر يخطب فترك الناس عمر ومالوا إلى أبي بكر.

ماذا نفهم من هذا؟ وعمر -رضي الله عنه- خير الصحابة بعد أبي بكر، ولكنَّ الصحابة يعلمون منازل العلماء، فلما قام أبو بكر فبدأ الكلام ولم يسكت عمر بعد أن أمره أبو بكر بالسكوت لما فيه من البلاء والحزن، فطِن الناس أن أبا بكر أولى أن يُقبل إليه وأن يسمع منه فترك الناس عمر ومالوا إلى أبي بكر، وهذا هدي الصحابة -رضي الله عنهم- في تقييم العلماء، وأن العالم وإن كان يشمله مسمى العالم، ولكن ليس العالم الراسخ كالعالم الذي دونه، فإذا تكلم الراسخ فإن الأصل أن يُمال إلى من هو أعلم وأن يُقبل منه ما دام أنّك لا تستطيع أن تُميّز بين كلامهما على افتراض الإختلاف، إذن العالم متفاوت في العلم، ولذلك لما خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح البخاري وقال ((إنّ عبدًا خيّره الله بين الدنيا والآخرة فإختار ما عند الله))، فبكى أبو بكر وقال: "فديناك بأنفسنا يا رسول الله"، قال أبو سعيد وأنا أقول: "ما هذا الرّجل ما يقول هذا الرّجل، ورسول الله يقول إنّ الله خيّر عبدًا"، يعني ما الذي حمل أبا بكر أن يقول هذا الكلام، وما علاقة هذا بكلام النبي —صلى الله عليه وسلم- قال: "فعلمنا أنّ رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا"، إذن فالعلماء يتفاوتون في علمهم، وينبغي أن يُعطى كلَّ عالم قدره من العلم، وأن تُحفظ كرامة العلماء، وأن يُعظَّموا التعظيم الشرعي، وأن يوضعوا في المنزلة التي أنزلهم الله —عزّ وجل- فيه.

ثمّ القسم الثاني: قال متعلمٌ، وكما أنّك فهمت أنّ العالم يتفاوت كذلك المتعلّم يتفاوت، فالمتعلّم ابتداء طلبه أن يسأل عن أمر دينه، وإن كان من عامة النّاس، فإذا حرص على أن يسأل عن أمر دينه فهو طالبُ علم في الجملة؛ لأنّه طلب أمر الدين، وطلب ما يقومُ به دينه، ولذلك تأمل قول النبي -صلى الله

عليه وسلم– فيما رواه البخاري من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص: ((بلغو عنّي ولو آية))، وفيما رواه الترمذي: ((نظّر الله امرءٍ سمع منّا حديثًا فوعاه فأدّاهُ كما سمعه، فربما حامل فقه ليس بفقيه))، انتبه! كل من حمل العلم، ولو حمل حديثًا، ولو بلّغ آية، فقد عَلم من دين الله –عزّ وجل– ما يدخله في باب الطلب، ويتفاوت طالب العلم بين المبتدأ إلى المنتهي حتّى يصير عالمًا، وهذا يدل على شرف العلم وفضله، وإن قلَّ ما تحمل من العلم، بل إنّك تجد العجب، أن بعض من زُكيَ وله سابقةُ خير في الأمة، كان من عامة النَّاس، وكان صاحب حديث، ولم يكن فقيهً، ولذلك تجد تراجم عدّة في تاريخ الإسلام للذهبي وفي سير أعلام النبلاء، يذكر أقوامًا يقول: "وكان شيخًا صالحًا عاميًّا ليس له في العلم نصيب وليس فقيهًا ولم يكن من أهل الفقه ولكنّه كان راوية، سمع فروى"، إذن وهذا يدلك كما يقول ابن القيم رحمه الله: أنّ من سأل عن أمر دينه فهو داخلٌ في القسم الثاني الذين يطلبون العلم على سبيل النجاة، وأما الهمج الرعاع فهم الجُهال الذين لا يسألون عن أمر دينهم، ولذلك قد يكون الرجل عاميًا وهو مسلوكٌ به مسلك طلاب العلم إذا كان يسأل عن أمر دينه، وأما إذا كان عاميًا لا يسأل عن أمر دينه ولا يبالي أن يسأل ما أوجب الله عليه فيه السؤال فهو من الهمج الرعاع، هذا اختصار في الجملة لِما جاء في هذا الأثر ونستفيد من أبي عبدالرحمن أيضًا.

الشيخ علي السالم: جزاك الله خيرًا، لاحظ قول على بن أبى طالب –رضي الله عنه– في هذا الأثر العظيم في وصفه هؤلاء الهمج الرعاع، فقال –رضي الله عنه–: "وهمج رعاع أتباع كل ناعق، لم يستضيؤا بنور العلم ولم يلجؤا إلى ركن وثيق" كيف يكون هذا الوصف موجودًا في أهل السنة ! هذا لا يمكن أن يوجد في أهل السنة، فإنها من الأوصاف المحرمة شرعًا، فإن السني لا يكون تابعًا لكل ناعق، كل ما تكلم رجل تبعوه، ليس عندهم من العلم بالسُّنة ما يعصمهم من الفتن، ليس لهم من العلم بدين الله– عز وجل– ما يكون من الطائفة المنصورة الفرقة الناجية، بل هذا مذموم شرعًا، فإن هؤلاء الهمج الرِّعاع أو الرَّعاع هم وقود الفتن، هم الذين تشتعل بهم الأهواء، وتزكوا بهم الثورات، فهؤلاء هم الوقود وهم

الذين تعظم بهم الدعوات الباطلة، فالسُّني صاحب حق وصاحب سنة وصاحب إتباع للعلم الصحيح وهو علم السنة، وهذا ليس حكرًا على طائفة ولا فرقة ولا رجل ولا شخص معين، فليس عند أهل السنة رسوم عبور ولا تأشيرات للدخول في العلمية، بل حسبهم أن يكونوا طالبين للنجاة من النار، ولهذا لما قيل للإمام الألباني –رحمه الله تعالى– ووصف بأنه طالب علم ماذا قال؟ قال: "أبدًا أنا طُويلب علم" وهذه معروفة مشهورة عند أكثرنا؛ لأن هذه التقسيمات أصلًا ليس لها استناد إلا ما جاء عن الآثار التي ذكرناها، فهو مجرد رجل يطلب النجاة من النار، فماذا كان؟ أن وفقه الله –عز وجل– فصار إمامًا متبوعًا عظيمًا قدره عند أهل السنة والجماعة عند أهل الأثر، أحيا عند أهل السنة الطريقة الصحيحة للعلم، الطريقة الصحيحة للتعلم، الطريقة الأثرية التي ينبغي أن يسلكها كل متعلم وهو كل مسلم

كل صاحب سنة، يتعلم على الطريقة الأثرية، وهو أن يطلب في هذا التعلم النجاة من النار، وأن لا يرجوا بمثل هذا شرفًا ولا جاهًا ولا منصبًا ولا منزلةً، يكون فيها مسيطرًا على من يدخل إلى باب العلم، فلا يدخل إلا من يرضاه ولا يخرج إلا من يأباه، فمثل هذا طريقٌ كان عقبة في طريق العلم، ولهذا فأهل السنة من قديم كانوا يصفُّون أصول العلم والتعلم من شوائب هذه المحدثات، وهذه العواقب التي تصد الناس عن العلم الصحيح ما تكون عالم ولا متعلم حتى تتزيا بزي خاص، وهذا معروف فيما ذكره أهل العلم عن المتصوفة، فلا يجوز أن نتلقف مثل هذه الأصول وهذه البدع وهذه المحدثات فندخلها عندنا وعند أنفسنا، سواء شعرنا أو لم نشعر فأهل العلم المقصود أن أهل العلم نفوا عن العلم وأصوله كل هذه فصنفوا مصنفات تأصل عند المتعلم هذه المعاني، فمنهم من هذه المصنفات "فضل علم السلف على الخلف" للحافظ ابن رجب ومنها "زغل العلم" للذهبي ومنها ما ذكره الامام الألباني –رحمة الله عليه– في مقدمة كتابه صفة الصلاة حيث نفى أن يكون المسلم مقلد لا يعرف من عباداته إلا ما وضع له من المراسيم المذهبية ونحوها، فأرجوا من الشيخ خالد –حفظه الله تعالى– أن يتكلم عن التقليد وعن حكم التقليد وعن كيف وضع التقليد في قالب يشبه الحق وأدخل على أهل السنة، فليتفضل مشكورًا.

الشيخ خالد عبد الرحمن: إذا عُرف من هو العالم فنحن ولله الحمد في أبواب الاعتقاد في أبواب الفقه ليس لنا متبوعًا تجب طاعته إلا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه الكرام –رضي الله عنهم– أجمعين، ولا شك أن تعظيم العالم واحترامه واجلاله هو من الفروض الشرعية، وقد صح عن النبي – صلي الله عليه وسلم– قوله: ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه))، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الناس في الحق ينقسمون إلى أقسام: أهل السنة ثم المنحرفون عن السنة يختلفون في الحق تارة في باب الإفراط وتارة في باب التفريط إما في الغلو وإما في التساهل هكذا وقع حال الناس مع العالم، فطائفة جفوا فطعنوا في العلماء، وهذه مدرسة الخوارج، ومن سلك سبيلهم، وطائفة عظموا العالم حتى وقع تقليده وترك السُّنة لأجل تقليد العالم، انظر إلى هدي الصحابة مع العلماء، في صحيح البخاري وهي قصة جمع القرآن من حديث زيد بن ثابت –رضي الله عنه– قال: ((لما كثر القتل يوم اليمامة، دعاني أبو بكر فأتيته وعنده عمر، فقال لي أبو بكر: إن عمر أتاني وأخبرني بأن القتل قد استحر بالقراء في اليمامة وقال لي: إني أخشى أن يضيع القرآن وأن يستحر القتل بالقراء، فلو أنك أمرت بجمع القرآن، قال فقلت له: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: فلم يزل يراجعني عمر حتى شرح الله صدري لما شرح الله له صدر عمر، وإنك شاب، رجل لا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– فأرى أن تجمع القرآن، قال زيد بن ثابت: فوالله لو كلفني نقلًا أو حمل جبل لكان أهون علي، فقلت لهما: كيف تفعلان فعلًا لم يفعله رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري لما شرح الله له صدر أبي بكر وعمر))، قف عند هذا وتعلم ما هو الأدب مع العالم، الصحابة يعلمون أن خيرهم أبو بكر ثم عمر، زيد بن ثابت شاب يكلمه أبو بكر، هذا الشاب ماذا يقول لأبي بكر: ((كيف تفعلان فعلا لم يفعله رسول الله))، ثم راجع وأكثر ((فلم أزل أراجعه))، عمر –رضي الله عنه– معلوم من طبعه ما هو معلوم من الشدة في دين الله، هل زجرا زيد بن ثابت في المراجعة؟ هل امتنعا عن مراجعته وعن إجابته؟ ((فلم أزل أراجعه))، ما معنى ذلك؟ هذه تربية سنية عملية، ألا وهي الحجة والبرهان، لا التعصب للرجال، فلم يزل يراجع أبي بكر، وأبو بكر صابر يحتمل مراجعة هذا الشاب الصالح ليبين له الحجة التي

خَفيت عليه، هذه هي تربية الصحابة، لم يقنع لفضل أبي بكر وعمر أن يتبع قولهما دون أن يراجع وأن يسأل عن الحجة والبرهان، كيف تفعلان فعلًا لم يفعله رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؟ فإذا جاء اليوم طالب علم، معظِّم لأهل العلم فإنه إذا جاء من قول العالم ما يُشكل فواجب أن يراجع وأن يسأل وأن يستفهم، وهذا لا يخدش في فضل العلماء، لذلك فإن الصحابة –رضي الله عنهم– في تربيتهم لأبنائهم وطلابهم كانوا يربونهم على الحجة والبرهان لا على أن يغمض الإنسان عينيه ويأخذ دون النظر في الأدلة، إذا كان يقدر على فهم الأدلة، لذلك قال الشافعي وغيره من أهل العلم في معنى كلامهم، لا يصار إلى التقليد إلا عند الضرورة، واذكر هنا أثرًا اقرأه من جامع بيان العلم وفضله للأمام ابن عبد البر وهو أثر عظيم في التربية السلفية وفي احترام الأئمة، فقد ذكر ابن عبد البر كما اقرأ من كتابه ونقله ابن القيم ونقله ابن تيمية ونقله أئمة الدعوة النجدية في الرسائل النجدية وغيرهم من العلماء، قال ابن عبد البر وذكر محمد ابن حارث في أخبار سحنون ابن سعيد، عن سحنون قال: "كان مالك ابن أنس وعبد العزيز بن أبي سلمة ومحمد بن إبراهيم بن دينار وغيرهم يختلفون إلى ابن هرمز، وكان إذا سأله مالك وعبد العزيز أجابهما، وإذا سأله ابن دينار وذووه لم يجيبهم، فتعرض له ابن دينار يومًا، فقال له: يا أبا بكر لم تستحل مني مالا يحل لك, قال له: يا ابن أخي وما ذاك؟، قال: يسألوك مالك وعبد العزيز فتجيبهما وأسألك أنا وذووي فلا تجيبنا" يعني معنى هذا لماذا تفرق بيننا ونحن طلابك، أنا وذوي ومن في سني لا تجيبنا ومالك وعبد العزيز ابن أبي سلمة تجيبهم وكلنا طلابك, "فقال له: أوقع ذلك يا ابن أخي في قلبك؟ قال: نعم, قال: إني قد كبر سني، ورق عظمي وأنا أخاف أن يكون خالطني في عقلي مثل الذي خالطني في بدني" يقول أخشى أن حالي في العلم قد كبر سني فقد يكون عقلي في استيعاب العلم ضعف، "وأنا أخاف أن يكون خالطني في عقلي مثل الذي خالطني في بدني، ومالك وعبد العزيز عالمان فقيهان إذا سمعا مني حقًا قبلاه وإذا سمعا مني خطأً تركاه" انظر إلى التربية السلفية النقية، يظن بعلمه على من لا يرى أنهم علماء: يقول "مالك وعبد العزيز عالمان فقيهان إذا سمعا مني حقًا قبلاه وإذا سمعا مني خطأً تركاه وأنت وذووك ما أجبتكم به قبلتموه" لستم علماء فلا تميزون صوابي من خطئي، فخاف على دينه أن يقبل كلامه في الباطل، فأمتنع على أن يعلم هؤلاء في مسائلهم حتى لا يقلد فيما يخالف

في الدين، هذه هي الديانة، قال –رحمه الله– قال: "وأنا أخاف أن يكون خالطني في عقلي مثل الذي خالطني في بدني، ومالك وعبد العزيز عالمان فقيهان إذا سمعا مني حقًا قبلاه وإذا سمعا مني خطأً تركاه، وأنت وذووك ما أجبتكم به قبلتموه" قال محمد بن حارث: هذا واللهِ هو الدين الكامل والعقل الراجح لا كمن يأتي بالهذيان ويُريد أن ينزل من القلوب منزلة القرآن، هذه هي الديانة وهذا هو إحترام الأئمة، وهذا هو تعظيمهم أن لا يتعصب لعالم وإن بلغ من العلم ما بلغ، كما قال أحمد: "قول مالكٍ عندي رأي وقول الأوزاعي عندي رآي وقول فلان عندي رأي وإنما الحُجة في الآثار، إنما الحُجة في الآثار" هذا هو الدين، الفرق بين الدعوة السلفية وبين الدعوات الحزبية، فروق أصيلةٌ عظيمة من أصولها أن لا يُتعصب لغير المعصوم، وأن لا يُتعصب لعالم، وأن لا يُساء الظّن به، فدين الله وسط بين الغالي وبين الجافي، فإذا جاء قول العالم مخالفًا للحق، حُفظت كرامته ورُد خطؤه، لذلك لما سئل الإمام الألباني:

ياشيخ أنت تصحح حديثًا والبخاري يضعفه أو تضعف حديثًا والبخاري يصححه، فأنا ماذا أفعل حين إذن؟ هل آخذ بكلامك أم آخذ بكلام البخاري؟

فقال الإمام الألباني: "لا يخلو يا أخي أن يكون حالك، أن تكون أحد رجلين إما أن تكون متخصصًا في العلم تعرف هذا العلم وتتقنه فالواجب لك أن تتبع ما ظهر لك من الحجة، سواء كانت معي أو مع البخاري، وأما إذا كنت لاتميز هذا العلم ولا تعرف حُججه فلا شك أنك تأخذ بقول الأعلم، وبداهةً هو الإمام البخاري، فتأخذ بكلام البخاري وتدع كلامي".

ولذلك قال المزني الذي نقل علم الشافعي، قال في ضمن كلامه قال: "كتبتُ هذا من علم الشافعي مع إخباره أو مع إعلامه للناس بأنه نهى عن تقليده وعن تقليد غير"، ورحم الله الشافعي حين قال: "ودِدت لو أن الناس علموا مافي كُتبي ولم ينسب إللي من ذلك شيء"، والحاصل أن العالم لا يُقلد إذا أمكنك أن تعرف الدليل سيما إذا أختلف العلماء، فالأصل هو الدليل، وإن اتفقوا فلا خروج عن اتفاقهم وإن كنت عاجزًا أن تعرف الدليل ساغ لك التقليد ضرورةً، هذا تحقيق كلام العلماء في هذا الباب.

الشيخ علي السالم: جزاك الله خيرًا على إيراد هذا الأثر العظيم الذي ينبغي أن نتدبره حقيقةً، وأن الغاية التي ينبغي على المسلم السُّني أن يحرص عليها هي أن يقدم الحق وأن يقدم السنة، ولا يقدم عليه أحد، فإن دين الله –عزوجل– حق، وإن اتباعه هو الغاية العظمى التي ينبغي أن يسعى إليها طالب العلم، كما قال الآجري –رحمه الله تعالى– في رسالته أخلاق العلماء، فحينما ذكر صفة طلب العلم بالنسبة لطالب العلم، ذكر أشياء هي بالنسبةِ لكثير منا اليوم على مفهومنا المحرّف، غريبة، قال –رحمه الله–: فمن صفته لإرادته في طلب العلم أي هذا الطالب للعلم، طالب النجاة، أن يعلم أن الله –عز وجل– فرض عليه عبادته، والعبادة لا تكون إلا بعلم، وعَلِم أن العلم فريضة عليه، وعلم أن المؤمن لا يحسن به الجهل، فطلب العلم ينفي عن نفسه الجهل، وليعبد الله كما أمره، ليس كما تهوى نفسه، فكان هذا مراده في السعي في طلب العلم، ليس طلب العلم لإقامةِ مملكةٍ تكون تحتك تفعل ما تشاء متى ما شئت، وليس للمعلم أن يُحزّب الناس على رأيه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– قال: فإذا كان المعلم أو الأستاذ قد أمر بهجر شخصٍ أو بإهداره وإسقاطه وإبعاده ونحو ذلك، نُظر فيه فإن كان قد فعل ذنبًا شرعيًا عوقب بقدر ذنبه بلا زيادة، وإن لم يكن أذنب ذنبًا شرعيًا لم يجز أن يعاقب بشيء لأجل غرض المعلم أو غيره، وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى، كما قال –تعالى–: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة:٢]، قال –رحمه الله–: وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهدًا بموافقته على كل ما يريده، إلى آخر كلامه المعروف من المجلد الثامن والعشرين صفحة ستة عشر، كلامه نفيس جدًا في هذا الباب يؤصِّل عند السني أن لا يكون همجًا، أن لا يكون همج رعاع كما ذكر علي بن أبي طالب، وليس للمعلم أن يفترض أشياء من عنده، حتى لو كان ممن ينتسب إلى السُّنة، ولهذا كان الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– يذكر هذا، فيما توارثه المتصوفة من الرسوم التي تقيد مريديهم، ومثل هذه الرسوم قد تناقلها جيلٌ عن جيل، وورثها قومٌ وأصبحوا بها عاملين وهم لا يشعرون، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– في المجلد الحادي عشر صفح تسعة

وثمانين قال: والشروط التي تشترطها شيوخ الفتوة، ما كان منها مما أمر الله به ورسوله كصدق الحديث وأداء الأمانة وأداء الفرائض واجتناب المحارم ونصر المظلوم وصلة الأرحام والوفاء بالعهد، أو كانت مستحبة كالعفو عن الظالم واحتمال الأذى وبذل المعروف الذي يحبه الله ورسوله، وأن يجتمعوا على السُّنة ويفارق أحدهم الآخر إذا كان على بدعة ونحو ذلك، فهذه يؤمِن بها كل مسلم، سواء شرطها شيوخ الفتوة أو لم يشترطوها، وما كان منها مما نهى عنها الله ورسوله مثل التحالف الذي يكون بين أهل الجاهلية أن كلًا منهما يصادق صديق الآخر في الحقِّ والباطل ويعادي عدوه في الحق والباطل وينصره على كل من يعاديه سواءٌ كان الحق معه أو كان مع خصمه، فهذه شروط تحلل الحرام وتحرم الحلال، وهي شروط ليست في كتاب الله، انتهى كلامه –رحمه الله تعالى– فالشروط لطالب العلم، هي الشروط التي وضعت في الكتاب والسُّنة، أن يكون كل مسلم طالبًا للحق طالبًا للنجاة، سائِلًا عمّا يعنيه في دينه، وهو في هذا قد صدُق عليه أن يكون طالبًا للعلم، ولا يكون همه تلك الرهبة العظيمة التي توضع على رأسه وتوهمه أنه إن لم يخضع لهذه الشروط التي وضعت على رأسه فلن يتحقق له طلب العلم، ولن يتسمى بطالب العلم كما يقال، فإن الحق إذا كان إمامك فهو الذي يقودك إلى إتباع السُّنة، وإن الأمر كله في إتباع السُّنة، وإتباع الحق، فإن هذا هو المعيار أن يكون الناس على السُّنة وأن يكونوا من الفرقة التي قال فيها النبي –صلى الله عليه وسلم– : ((هم على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) وبأصول السُّنة يوالون ويعادون ليس لهم إلا ذلك، ولهذا فإن أئمةً صاروا أئمةً لأهل السُّنة، وإن رغمت أنوف بمشيئة الله –عز وجل–، لا بمشيئة أحد سواه، كما في الحديث المشهور: ((إذا أحب الله عبدًا نادى في السماء، نادى جبريل: يا جبريل إني أحب فلانًا فأحبوه، فينادي جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبوه. فيوضع له القبول في الأرض)) وإن مما يحب الله –عز وجل–، وإن من أعظم ما يحب الله –عز وجل– أن يكون هذا العبد موافقًا للسُّنة متبعًا للصحابة رضوان الله عليهم، وهذا هو المعيار الذي يقوم عليه الولاء والبراء، فنصر السُّنة وتعظيمها ودعوة الناس إليها والتحاكم إليها هو من أعظم أسباب المحبة، هو السبب الحقيقي الذي يتحاب فيه أهل السُّنة والجماعة، أهل الأثر بعضهم بعضًا، لا بالخيالات ولا بالمراسيم ولا بتأشيرات التي توضع على رؤوسنا وفي أعناقنا وتغلل العلم وطلبه، وكما في الحديث ((سبعة

يظلهم الله في ظله)) حتى قال : ((ورجلان تحابا في الله فإجتمعا عليه وافترقا عليه)) وفي الحديث الآخر ((ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان)) قال ((وأن يحب المرء، لا يحبه إلا لله))، المقصود أن هذه النصوص العظيمة التي جاءت بها الشريعة الإلهية المحمدية، جاءت لتحقيق المقصود الأعظم وهو النجاة، النجاة من هذه الدنيا وفتنها، فالأئمة أئمة كما حصل للإمام أحمد وغيره، فإن أهل الرأي مثلًا لم يَقبَلوه كفقيهٍ عند أهل السنة عندهم، لم يرضو بِهِ فَقيهًا، فأخرجوه مِن كُتبهم وكتب الفقه وكُتُب الإختِلاف، حتى كان هذا الشيء تَسَرّى إلى أهل السنة، كالإمام أبي جعفر محمد بن جليل الطبري، فلم يذكر الإمام أحمد –رحمهُ الله تعالى– مِن الفُقهاء واختِلافهم، ولم يذكُرهُ في مُصنفٍ من مُصنفاتِهِ، من مصنفات الفقه، لكن ماذا جرى؟ رفعَهُ الله –عز وجل– الإمام أحمد، ولم يكُن هذا سببًا في أن يرفعهُ الله –عز وجل–، فإن أبى الناس كُلُهم عن أن يرفعوا هذا الطالِب، فإن الله –عز وجل– هو الذي بيدِهِ الأمرُ كُله، ولِهذا السنة هي المِعيار، ولِهذا لما سُئِل الإمام أحمد عمن يُستفتى بعد رحيله –رحمه الله– فأشار إليهم إلى عبدالوهاب الوَّراق، قال: "هو رجُلٌ صالح حريٌّ أن يُوفق إلى الحق"، "هو رجُلٌ صالح حريٌّ أن يُوفق إلى الحق"؛ لأنه صاحب سنة وهذا هو المعيار وليس المعيار أن تضع أنت معايير تبني عليها من يكون طالب علم ممن لم يكون كذلك، ولهذا لما الإمام أحمد –رحمه الله تعالى– ذُكر له معروف الكرخي، فقيل له: قصير العلم، يعني يتنقصون درجته في العلم وطلب العلم، فقال الإمام أحمد –رحمه الله تعالى– مقولة تُنبئ عن حقيقة العلم الذي ينبغي على المسلم أن يكون همه قال: "وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف؟"، "وهل يراد من العلم إلا ماوصل إليه معروف؟" فالعلم الذي ينبغي أن يصل إليك هو العلم الذي تنجو به من النار، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والحمد لله رب العالمين، وبهذا نختتم وجزاكم الله خير.